Reading in feminist literature: an analytical study in the novel My Memoirs in the Women's Prison by Nawal El Saadawi

جمال طالب قره قشلاقيjamal_telbi@yahoo.com

بوشايب أسماء علجية aldjiaasma73@gmail.com

تاريخ الإرسال:2022\06\02	تاريخ القبول:2022\12\08	تاريخ النشر: مارس 2023

الملخص:

لعبت المرأة دور مهم في عدة مجالات ومنها الأدبية والفنية، وساهمت في حركة الوعي النقدي وأعطتها نفسا نسائيا ومن هنا ظهر الأدب النسوي وعبّرت المرأة من خلاله ما تواجهه في معترك الحياة، فاكتسى هذا الفن بانفعالاتها النفسية الحادّة، نتيجة تطرّقها لقضايا اجتماعية خاضعة للسلطة الذكورية، فظهرت الرواية النسوية مع غادة السمان وليلى بعلبكي مطلّع الخمسينات، واستطاعت المرأة من خلال الأدب النسوي إبداء الرأي والتمرد عن المسكوت عنه ومن هؤلاء الأديبات نجد الروائية نوال السعداوي، حيث جعلت الدين والجنس والسياسة محور تآليفها.

الكلمات المفتاحية: الأدب النسوي، نوال السعداوي، رواية مذكراتي في سجن النساء، تقنيات السرد.

Abstract:

Women played an important role in several fields ،including literary and artistic fields, and contributed to the movement of critical awareness and gave it a feminine soul. Hence, feminist literature emerged and through it women expressed what they face in the battlefield of life. The feminist novel with Ghada al-Samman and Laila Baalbaki in the early fifties. Through feminist literature, women were able to express an opinion and rebel against the unspoken. Among these writers, we find the novelist Nawal al-Saadawi, who made religion, sex and politics the subject of her composition.

***Key words**:* Feminist literature, Nawal El Saadawi, my memoirs in the women's prison novel. Narration technique..

*** *** ***

1. **مقدمة:**

عانت المرأة من التهميش منذ القديم، وحُرمت من أبسط حقوقها وأتفهها كونها حبيسة قيود ذهنيات مختلفة ومعتقدات متعددة وعادات وتقاليد وأعراف، راضخة لسلطة الرجل، ولكن ظهور الإسلام أنصفها ووفِق لذلك تعزز دور المرأة داخل المجتمع وكشفت عن مواهبها وقدراتها وابداعاتها مُؤَسِسة عالما خاصا بها.

ومن خلال فن الكتابة النسوية كتبت عن انشغالاتها ومشاكلها وأهم قضاياها، معبرة عن انكساراتها وانتصاراتها، ووفق هذا المنطلق سارت الكاتبة المصرية نوال السعداوي، فإلى أي مدى استطاعت تجسيد تجربتها داخل السجن في قالب سردي روائي وفق الآليات والتقنيات السردية؟

2. **موجزعن الأديبة نوال السعداوي:**

ولدت نوال السعداوي في 27 أكتوبر 1930، في قرية كفر طحلة على ضفاف النيل بمصر، ترعرعت في عائلة متكونة من أحد عشرة فردا وحرص والدها على تعليم أبنائه وبناته في زمن كانت المرأة الريفية مقيدة بالأعراف الاجتماعية.

حصلت على شهادة البكالوريا في الطب من جامعة القصر العيني بالقاهرة عام 1955، ثم حصلت على شهادة الماجستر من جامعة كولمبيا في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1966م، وفي هذه الفترة التقت بزوجها الدكتور شريف حتاتة، طبيب وروائي ماركسي أعتقل في عهد عبد الناصر حيث يشاركها في الكثير من أفكارها.[1]

1.2. **أهم مؤلفاتها:** تقوم أفكار نوال السعداوي على تحرير المرأة والإنسان، وتحرير الوطن والفكر، ومن مؤلفاتها:

موت الرجل الوحيد على الأرض: حاولت من خلال هذه الرواية تبيين قوة السلطة الذكورية في المجتمعات الريفية.

امرأة عند نقطة الصفر: صورت من خلال هذه الرواية واقعها النفسي والاجتماعي، ويتضح أنها عاشت طفولة صعبة.

أوراقي حياتي: تتألف هذه الرواية من خلال ثلاث أجزاء سردت فيها حياتها بطريقة السيرة الذاتية عبر مراحل حياتها المختلفة منذ ولادتها إلى زواجها لغاية اندماجها في الساحة الأدبية.

مذكرات طبيبة، المرأة والجنس، مسرحية الزرقاء وايزيس والأطفال يغنون للحب ... لها العديد من المسرحيات والروايات.

ومن هذا المنطلق لم تعد نوال السعداوي مجرّد داعية لحرية المرأة في مصر فقط، بل صارت من أهم الرموز النسائية في العالم، تُرجمت أعمالها الفكرية والإبداعية إلى العديد من اللغات، وأثار كتابها الأخير "الوجه الخفي لحواء" ضجة كبيرة في العالم، وفي الرواية تتمتع بجرأة كبيرة ويقول عنها الناقد العربي عفيف فراج "تغزو الواقع بروح العالم الذي يصدم مجتمعه بالحقائق دون خشية أو تردد"[ii]، وبصفة عامة إنّ قلم نوال السعداوي يواجه الإذلال والاستغلال ومُصادر حرية المرأة.

3. الرواية النسوية:

الرواية والقصة من أهم الأجناس النثرية التي برعت فيهما المرأة لأنهما يرتبطان بالواقع وفيهما مساحة لتعبر عن حياتها وواقعها وحقيقتها وتجاربها، وتميزت المرأة في الكتابة عن الرجل كونها تضيف عواطفها إلى التعبير الكلامي ممّا يكن لكلامها الأثر الأكبر في نفس القارئ "إنه من أهم مميزات النثر النسوي عامة، الصدق والحقيقة والبعد عن الكذب مع العفوية والإنسانية، وكذلك البعد عن التكلف أوالتصنع"[iii].

تسعى المرأة من خلال الرواية الحفاظ عن وجودها من تسلط الثقافة الذكورية، فنظرة المجتمع عموما للمرأة نظرة تقليدية وهذا ما أدى إلى تهميش دور المرأة وتناسي حقها في التعبير عن كيانها، وعلى هذا الأساس ظهرت الرواية النسوية.

ظهرت قائمة الروايات العربيات مع عائشة تيمور "نتائج الأحوال"، إلى "طوقان" لسميحة خريس، ومن خناثة بنوتة وزهور كرام وأحلام مستغانمي وأمال مختار في شمال إفريقيا إلى فوزية رشيد وليلى العثمان وأمل شطا في أقصى المشرق العربي.

يقول غالب هلسا "من خلال رواية المرأة شعرت بأنني أتعلم أشياء لم أكن أعرفها من قبل"[iv]، فالمرأة هي الأقدر على تصوير وكشف عوالمها.

اتجهت الباحثة "بثينة شعبان" في بحثها المعنون ب "مائة عام من الرواية النسائية العربية" إلى التعريف بأسماء نسوية في حقل الكتابة الروائية منذ بدايات القرن العشرين، وأكدت أنّ المرأة كانت سبّاقة لكتابة فن الرواية لكن الرجل قمعها وأشارت أنّ سلطة النقد الذكوري

أسقطت أسماء نسائية رائدة في المجال، وأشارت أنّ اول رواية عربية في تاريخ الأدب الحديث رواية "حسن العواقب" لزينب فواز سنة 1899م، قبل رواية "زينب" لحسين هيكل ب 15 سنة التي صدرت سنة 1914م.

كما تطرّقت إلى موضوع علاقة الشرق بالغرب، وأكدت أنه نوقش من قِبل الكاتبة اللبنانية "عفيفة كرم" في روايتها "بديعة وفؤاذ" سنة 1906م، أي قبل سنوات من صدور "عصفور الشرق" لتوفيق الحكيم"[v].

4. تحليل رواية مذكراتي في سجن النساء

1.4. **ملخص الرواية**: سردت نوال السعداوي في هذه الرواية تجربتها في سجن القناطر، وبدأتها من لحظة دق البوليس باب بيتها إلى لحظة خروجها منه، وتتكون من خمسة أجزاء: القبض، السجن، اختراق الحصار، الخروج للتحقيق، لتنتهي روايتها بموت السادات، صورت هذه الرواية معاناتها الداخلية والخارجية من ظلم ومتاعب وآلام عاشتها داخل السجن، فلقد ألقى القبض عليها كما صرحت في 6 سبتمبر 1981 بتهمة إثارة الفتنة الطائفية، وجعلت من نفسها شخصية رئيسية لأحداث الرواية من البداية للنهاية باعتبارها تعبر عن تجربة شخصية ذاتية منادية بالحرية النسوية.

2.4. الشخصيات:

الشخصية الروائية نوعان: سكونية وهي التي تتميز بالثبات ولا تتغير طيلة مدة السرد، وإما دينامية تمتاز بالتحولات السريعة والمفاجئة التي تطرأ عليها داخل البنية الحكائية، وهذان الوظيفتان يتحددان من خلال الدور الذي تقوم به الشخصية في السرد وتكون إما شخصية محورية وإما ثانوية لها وظيفة هامشية"[vi].

والشخصية من أبرز العناصر الواضحة في الخطاب السردي والمكونة له، ونجد أنّ غريماس "يرى أنّ مفهوم الشخصية في الحكي هو ما يمكن أن نسميه الشخصية المجردة وليس من الضروري عنده أن تكون الشخصية هي شخص واحد، كما أنه ليس من الضروري أن يكون العامل شخصا ممثلا، قد يكون فكرة أو جماد أو حيوان"[vii].

ويقول عبد المالك مرتاض عن الشخصية "بأنها جزء من العالم الذي تعيش فيه أو العالم الذي تتخيله كوكبا منعزلا، بل مرتبطة منظومة"، وفي ذات السياق تقول عالية محمود صالح

"القوة المولدة للأحداث تؤثر فيها وتتأثر بها "وبالتالي نحن لا نبالغ إن اعتبرنا الشخصية أهم عنصر في البنية الروائية، لأنها شبكة تمتد عبر الفضاء الروائي لترتبط الأشياء ببعضها البعض"[viii].

1.2.4.الشخصية الرئيسية في الرواية: هي نوال السعداوي الساردة لتجربتها الذاتية التي عاشتها داخل السجن بتهمة الجرأة والتحدي، فهي المثقفة الأديبة والدكتورة المتمردة على ظلم المرأة المحصورة في إشباع الغرائز والإنجاب، وصرّحت في بداية روايتها أنها تطيع عقلها فقط، وتكره النفاق، وأنّ السجن قيدها جسديا لكن أفكارها حرّة وأنّ الكتابة سلاحا يعين الشعوب على التحرر واستعملت في سجنها المحارم الورقية للتأكيد عن إصرارها للكتابة، ولم تعرف اليأس في السجن وحافظت على رزانتها أمام القانون.

تعتبر هذه الشخصية داخل الرواية شخصية فريدة ومتميزة لأنها تميل إلى الثورة والتمرد فتقول: "منذ الطفولة جرت الحرية في عروقي مع الدم...أخي كان أكبر مني، وحين رفع يده عاليا، ليصفعني رفعت يدي أعلى من يده وصفعته، ولم يكررها، وحين أراد زوجي الأول يلغي وجودي ألغيت وجوده من حياتي، وحين صاح زوجي الثاني أنا أو كتاباتي؟ قلت كتاباتي، وانفصلنا وحين انتفض وزير الصحة غاضبا، الطاعة أم الفصل، قلت الفصل وفقدت منصبي...."[ix].

ولم تكن مهتمة مثل باقي النساء بالزينة، وتصف نفسها في الجامعة انها كانت تفتخر بقامتها الفارغة وعضلاتها المشدودة عكس الطالبات الأخريات يفتخرن بأجسادهن، وتقول "كنت أحس في أعماقي عقلا يرفض الضعف كأنوثة، أو الأنوثة كضعف، لم أضع مساحيق التجميل على وجهي..." [x]، تقدم السعداوي نفسها في مواضع الحوار مع إحدى المنقبات في السجن "هل تصلين؟ هل تصومين؟ أليس وجه المرأة عورة؟ لتؤكد على حقيقة الأفكار التي طرحتها في كتاباتها، لا من أجل تفسيرها والاعتراف بها ولكن لتبين فهم الناس الخاطئ لبعض القضايا الدينية.

يتضح بين ثنايا الرواية أنّ السعداوي متعاطفة وهو شعور الأسى وغالبا هذا طبع المرأة ويظهر خصوصا عندما نادت سجينة جائعة، فكان كلامها مؤثرا فيه تعاطف مع المرأة المظلومة،

يتضح من خلال الرواية أنّ تصرفات السعداوي تغيرت داخل السجن فتقول" "طوال حياتي كنت أكره التكرار وأمله ...لكن في السجن لم أمل غسل ملابسي مرة بعد مرة..."[xi]، وترى من خلال الرواية أنّ أغلب السجينات ضحايا لرجل متسلط إما أب أو أخ أو زوج، ويبدو هذا الطرح مقصود لتسلط الضوء على فكرة قسوة الذكر على الأنثى، وحسب الرواية حوّلت نوال السعداوي السجن من مكان راكد إلى مكان مليئ بالحيوية والحياة، كأنها تحاول زرع الأمل في نفوس السجينات، فهي تتطلع إلى غد أفضل.

صورت الكاتبة شخصيتها في الرواية بشكل دقيق، وصورت شخصيتا عبر مرحلتين: قبل السجن ذكرت أهم آرائها حول السلطة والرجل والمرحلة الثانية: تناولت شخصيتها في السجن لاكتشافها عالم آخر كانت تجهله وخائفة من العيش فيه والتأقلم داخله ولكنها رغم الأوضاع المزرية استطاعت ان تجد طريق التفاؤل.

أكدت حضورها في الرواية من خلال جعل نفسها بطلة لعملها الأدبي، فتميزت بجرأتها اتجاه أقطاب سياسية وامتلكت قدرة للصراخ في وجه أكثر الأشياء حساسية وخطورة وهي السلطة وتناولت هذا الموضوع ليس بغية التميز إما للإحاطة بالحدث.

2.2.4. الشخصيات الثانوية في الرو اية:

- **الضابط**: وصفت محيطه الخارجي بأنه يرتدي قبعة بوليسية وسترة بيضاء، فوق كتفه ذهبية تلمع، أسنانه بيضاء، ابتسامته مؤدبة، شعره أسود، عيناه سوداوان، له شارب أسود فوق الشفة العليا، صوته خشن وله نظرة إنسانية، كان يحاول التخفيف من قلق الدكتورة نوال السعداوي

مسؤول السجن: تصفه الكاتبة بأنّ رأسه أصلع له شعيرات فوق أذنيه، عيناه مرهفتان حمراوان، يمثل الجسر الذي عبرت منه نوال إلى داخل السجن، مرورا بمكتبه، أين جردها من بعض مستلزماتها الشخصية.

- **الشاويشة نبوية**، صافيناز كاظم صحفية وأديبة صديقة الكاتبة، أمينة رشيد أستاذة بجامعة القاهرة وصديقة الكاتبة، لطيفة الزيات شخصية أدبية، عواطف عبد الرحمان صديقة للكاتبة، بدور شابة في الثلاثين منقبة ترتل القرآن ولا تضحك أبدا وتقول عن كل شيء حرام ومن خلالها حاولت السعداوي إبراز اعتقادات الجماعات الإسلامية، فوقية لم

تكن ترتدي النقاب، كانت سافرة تشير الكاتبة من خلالها إلى الحكام وأصحاب المناصب وهي تمثل الفئة الشيوعية وترى أنّ الاقتصاد هو الله ، ذوبة مساعدة الشاويش تمثل بنت الدعارة وجعلتها الكاتبة في موضع استغلالي لتثبت أنّ أعضاء الدولة لا يكتفون بتلفيق التهم بل يسّخرون السجينات لخدمتهم وتذليلهم، صباح تمثل الفتاة المجنونة ومن خلالها تقول أنّ الظلم والقهر والسلطة المبيدة جعلت المرأة مجنونة وأفقدت الشعب عقله، نور فتاة مسيحية تمثل الفئة المسيحية ومن خلالها تريد البطلة من خلالها أن تثبت أن الدولة ظالمة على كل فئات المجتمع، فتيحة القتالة ترمز لكل امرأة مضطهدة تمردت على الذكر وانتقمت منه، اعتدال في السادسة عشر من عمرها ترمز للمرأة الجاهلة، شكرية ضابطة السجن، صابر طبيب السجن وهو زميل الكاتبة منذ 25 سنة إضافة إلى شخصيات أخرى كالمحامي، بائعة الشاي، الملك فاروق، سراج الدين ويرمز لرجال السياسة القدماء، وقد ورد ذكرهم في الرواية لملئ الفراغ في الرواية، المدّعي الاشتراكي يرمز إلى الدولة والسياسة وصورته الكاتبة أنه الذكر المخدوع بملفها الباطل، وتظهر بين طيات الرواية شخصيات حاضرة غائبة، تذكرها الكاتبة عن طريق الاسترجاع مثل شخصية السادات مصدر الظلم والاهانة والمتسبب في سجن النساء لاضطهادهن وهو في موضع الكره والحقد من قبلهن، جمال عبد الناصر ويرمز إلى النفاق وصورته الكاتبة بأنه قاتل الرأي والتعبير، حسني مبارك وجعلته يمثل مصدر الحرية وأمل السجينات ورمز الحرية، العجوز صورته أنه العارف بأسرار الحياة وقضاياه نتيجة تجاربه الحياتية.

جعلت نوال السعداوي أغلبية شخصياتها من العنصر النسوي كما ركزت على فئات مختلفة الموجودة في مجتمعها فذكرت المسيحية والمسلمة والأديبة والسياسية لتؤكد على فكرة التنوع حتى في السجن وتشير أنّ هذا التنوع لم يخلق الكره والصراعات بل اتحدوا وساد بينهم السلام والوئام والتفاهم رغم اختلاف أفكاهم وثقافاتهم وايديولوجياتهم.

5. الزمن في الرواية

إنّ الزمن روح الوجود ونسيجها الداخلي، فهو مائل فينا بحركته اللامرئية حين يكون ماضيا أو حاضرا أو مستقبلا، فهذه أزمنة يعيشها الإنسان وتشكل وجوده،

فالزمن مجموعة العلاقات الزمنية، السرعة، الترتيب الزمني، المسافة القائمة بين المواقف والأحداث المروية وسردها بين القصة والخطاب المروي والسرد[xii].

أكدّ معظم الدارسين أنّ الرواية فن شكل الزمن بامتياز ويمثل الزمن محور الرواية، ويعد الزمن من أكثر هواجس القرن 20 وقضاياه بروزا في الدراسات الأدبية والنقدية، إذ شغل معظم الكتاب والنقاذ أنفسهم بمفهوم الزمن الروائي، "لقد ارتبط الزمن بالرواية في علاقة مزدوجة لأنّ النص الروائي يشكل في جوهره بؤرة زمنية تنطلق في اتجاهات عدة، فالرواية تصاغ في داخل الزمن والزمن يصاغ في داخلا الرواية التي تحتاج لزمن كي تقدم نفسها من خلاله مرحلة وراء أخرى"[xiii]، ومن هنا لم يعد الزمن في الرواية العربية الحديثة قائما على التسلسل المنطقي والتعاقب، وإنما تداخلت أبعاد الزمن الروائي وتشابكت بسبب التغيرات التي تحدث داخل الإنسان نتيجة احساسه القلق بإيقاع الزمن ومن هذا المنطلق ظهر البناء التداخلي الجدلي للزمن "وأهم ما يميز البناء التداخلي، جدل الحاضر مع الماضي بصورة مستمرة ومفتوحة على المستقبل أمام القارئ ليضع رؤيته وتأويلاته، ويعد البناء التداخلي الجدلي للزمن أكثر الأشكال بروزا في الرواية العربية الحديثة، ويمكن تقسيمه إلى: البناء التصاعدي المتداخل للزمن، البناء الدائري للزمن، البناء التزامني، البناء التضميني وبناء المتوازيات الزمنية"[xiv].

لكل رواية نمطها الزمني الخاص كون الزمن محور البنية الروائية وجوهر تشكلها والروائي مهمته خلق الاحساس بالمدة الزمنية الروائية وأنّ ما يعرضه هو الواقع الحقيقي وربما تمثل دقائق في الفن الروائي حياة شخصية لمدى سنوات من الذي هو زمن مستحيل وهو زمن يختلف عن الواقع الاجتماعي الذي تحكي عنه الرواية، أو الذي تتناول فيه عناصر منه كالشخصيات والأحداث[xv].

ومن أكثر التقنيات حضورا في النص الروائي "الاسترجاع" وتكمن أهميته في كونه تقنية تدور حول تجربة الذات وكشفه عن وعي الذات بالزمن في ظل تجربة الحاضر الجديدة، كما يساعد على فهم مسار الأحداث وتفسيرها وهو نوعان:

الاسترجاع الخارجي ويمثل الوقائع الماضية التي حدثت قبل بدء الحاضر السردي يستدعيها الراوي أثناء السرد، ويرتبط بعلاقة عكسية مع الزمن السردي في الرواية الحديثة نتيجة

لتكثيف الزمن السردي والاسترجاع الداخلي يختص باستعادة أحداث ماضية، ولكنها لاحقة لزمن بدء الحاضر السردي وتقع في محيطه ونتيجة لتزامن الأحداث يلجأ الرواي إلى التغطية المتناوبة، حيث يترك شخصية ويصاحب أخرى ليغطي حركتها وأحداثها[xvi].

إنّ أول تارخ في الرواية هو تاريخ إلقاء القبض عليها عندما هاجمها البوليس وكسروا الباب "يوم الأحد 6 سبتمبر 1981" جاء هذا الزمن مصرح به لأنه حدث مهم ونقطة تحول في حياة الكاتبة وأصعب وقت عاشته، كذلك تصرح بتاريخ آخر "ففي 28 سبتمبر 1981 طلبت أمام المدعي الاشتراكي للتحقيق"[xvii] ويبدو أنّ هذا اليوم حلمت بالخروج من السجن، تاريخ 6 أكتوبر 1981 وهو تاريخ مهم للبطلة ومن معها في السجن ويمثل موت السادات، كل هذه الأزمنة مصرح بها وهي تواريخ لا يتمحى من الذاكرة حتى يعرف الجميع تواريخ تمردها ضد الظلم، كما نجد تواريخ ضمنية مثل: أول ليلة في السجن، في الليلة الثالثة، في منتصف الليل وأنا جالسة أكتب، يبدو أنّ الليل زمن إغراق الكاتبة في التفكير وزمن وحدتها حيث تقول "الليل في السجن أطول من النهار"[xviii] وفي الصباح نجدها متفائلة ومتأملة كل يوم في الخروج من السجن، فالليل والصباح أزمنة لم تصرح بهما البطلة لكنهما عبرا عن حياتها اليومية داخل السجن.

وظفت الكاتبة الزمن الاسترجاعي، حيث استحضرت على امتداد صفحات الرواية أحداث وقعت في الماضي وتعود للماضي لتفسر ما يحدث معها في الحاضر، فتسرد أسباب تمردها ورفضها للظلم ونفس الحال مع أمها الت تمثل نموذج المرأة التي تطالب بالحرية والعدالة ونجدها تسترجع ما حدث لأبيها "في ثورة 1919 كان أبي طالبا في دار العلوم في القاهرة، اشترك مع زملائه في ضرب فرقة من الجنود الانجليز"[xix]وتسترجع أيضا حادثة وهي تلميذة "تذكرت مظاهرات سنة 1946، كنت أخرج مع التلاميذ إلى الشواع نهتف ضد الملك والانجليز..."[xx]

يُلاحظ أيضا لجوء الكاتبة للوصف، حيث تصف شخصياتها أو عند استرجاعها لأحداث ماضية، فمثلا نجدها لم تستمر مباشرة في حديثها عن التحقيق أمام المدعي العام بل وصفت الغرفة فتقول "الغرفة مزدحمة بالرجال والشباب بعضهم طويل اللحية والشارب، يرتدي الجلباب، بعضهم حليق الرأس والوجه يرتدي بدلة، بعضهم يجلس حر اليدين إلى جواره حارس..." [xxi]، كما تصف جمال عبد الناصر "رفعت رأسي من فوق التراب، رأيت جمال عبد

الناصر، بشرته سمراء برونزية...عيناه نافذتان لامعتان..." [xxii]، تعمدت الروائية الوقوف على الوصف لانها تريد إيصال صورة بكل حيثياتها عن هذا الواقع الذي مرت به، ووضع القارئ في الصورة واعطائه مشهد حي حول سيرورة الأحداث.

إذًا استخدمت الروائية زمنين مختلفين لكنهما متضامنين وهما الماضي والحاضر، فكثيرا ما نجدها لا تستمر في الحديث عن حاضرها وتذهب لاستحضار أحداث ماضية وهذا التداخل بين ما تعيشه في الحاضر وما تستحضره من الماضي مقصود لتوضح فكرة أنّ الظلم الذي يمارس على المرأة موجود سواء في زمن الماضي أو الحاضر، فهي تريد إيصال فكرة أنّ الزمن مهما تقدم وتقدم الانسان معه، تبقى الممارسات ضد المرأة نفسها لأنّ السلطات المستبدة المضطهدة لا تتغير وأنّ القانون دائما في صف الآخر أي الذكر.

6. المكان في الرواية

يعرف "يوري لوتمان" المكان، فيقول "المكان هو مجموعة من الأشياء المتجانسة من الظواهر والحالات والوظائف أو الأشكال المتغيرة...الخ التي تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة/ العادية"[xxiii]وفي ذات السياق يقول " وقد يصبح المكان هوية تاريخية ووطنية، يحمل طموحات الأديب الثقافية يجعله أمام امتحان ثقافي مع العصر، وأن يتحول الفعل في المكان إلى البحث عن الشخصية المستقبلية"[xxiv]، فالمكان ملتصقا بحياة البشر من حيث علاقة الإنسان بالمكان، وإدراكه له ومعرفته له لأنه يُدرك بطريقة حسية مباشرة.

ويرى إبراهيم عباس "أنّ المكان هو المركز الذي تتوجه إليه الأدوات البنائية في النص الأدبي"[xxv]، فالمكان عنصر لا يمكن تجاوره باعتباره يحقق للرواية التميز والتفرد ويتجه عالية محمود صالح إلى القول " ولقد عدّ الفضاء الروائي بمثابة بناء يتم إنشاؤه اعتمادا على المميزات والتحديدات التي تطبع الشخصيات، بحيث يجري التحديد التجريدي ليس فقط، وإنما أيضا لصفاته الدلالية، ليأتي منسجما مع التطور الحكائي العام"[xxvi]، والمكان ليس عنصرا زائدا في الرواية، فهو يتضمن معاني عديدة، وممكن أن يتحول إلى رمز، والمكان في الرواية محل الدراسة كالتالي:

1.6. البيت: ترى نوال السعداوي هذا المكان لب العائلة وروحها والمكان الذي يجتمع فيه أفراد العائلة والتقاء الأقارب والأصدقاء وتضيف أنّ معظم أعمالها الأدبية ناتجة من هذا المكان، والبيت يمثل عموما مكان مفتوح بالنسبة للكاتبة.

2.6.طريق السجن: يعتبر هذا المكان نقطة تحول بالنسبة لها كونه سيحول حياة الحرية التي تتمتع بها إلى حياة القيد وقمع الرأي،

3.6.السجن: تصفه من الداخل أنه "ممر مظلم أبوابه حديدية ضخمة، ثقيلة به عنابر مختلفة، وتصف العنبر بأن سقفه أسود، جدرانه مشققة، نافذته صغيرة، النساء فيه يرقدن على الأسِرة الحديدية"[xxvii]، فمن خلال هذا الوصف الخارجي يتبين أنه مكان مخيف ومرعب، ولكنه بالنسبة للكاتبة مكان مفتوح لعقلها وأفكارها ومنح الأمل للسجينات اللواتي معها، فرغم انغلاقية هذا المكان، إلا أنه أصبح مكانا مفتوحا لعقول السجينات كونهن يساندن بعض ويتقاسمن أفكارهن وأملهن بالحرية.

4.6.الجامعة: تذكر هذا المكان من خلال الاسترجاع والتذكر، فهذا المكان مصدر المعرفة بالنسبة لها ومصدر تكوين أفكارها ولهذا يعتبر مكان مفتوح لأنه ساهم في تكوين ثقافة من بداخله ومنهم نوال السعداوي.

5.6.عنبر الأمهات: يعتبر مكان مغلق وليس فيه انفتاح عقلي يتميز بسكون وصمود وركود، فهذا المكان هو مكان لمعاناة أطفال أبرياء وجدوا أنفسهم في عنبر مع أمهاتهم دون ذنب.

6.6.كفر طحلة: ذكرت هذا المكان عن طريق الاسترجاع، وهي قرية نوال السعداوي، فهي مكان مفتوح كونها قرية يسكنها أفراد، لكنها في الحقيقة مكان مغلق نتيجة التقاليد التي تمارس على المرأة فهذه الممارسات الذكورية خنقتها وحبستها.

7.6.عنبر المخدرات: يختلف هذا العنبر عن العنابر الأخرى، المرأة السجينة تعيش فيه كالملكة، ومن خلال ذكر نوال السعداوي لهذا المكان لتعطي فكرة أنّ السلطة تخاف من المنحرفين.

8.6.قاعة الاجتماع: وهو عبارة عن مكان مفتوح بالنسبة لأراء وأفكار نوال السعداوي، ففي هذا المكان قالت كلمتها بجرأة وشجاعة.

9.6.حجرة المدّعي: وهو مكان مفتوح ومغلق في نفس الوقت كونه مكان اتهام نوال السعداوي ومكان مصيرها وفيه يتقرر...

10.6.قصر الجمهورية: مكان الأمل والحرية والديمقراطية، وهو مكان مفتوح بالنسبة للبطلة وفيه تقرر خروجها وأُعيد اعتبارها،

تنوعت دلالة الأمكنة بين مغلقة ومفتوحة نتيجة تنوع صور السلطة الذكورية فمهما كان المكان، سجن أو قصر جمهورية...فإنّ النتيجة واحدة لأنّ الذكر يمارس سلطته الذكورية في أي مكان يشغله، وهذا التنوع في الأمكنة يُعَد أسلوب فني، يجعل القارئ لا يمل من أحداث الرواية، ولعلّ ما يميز المكان في الرواية أنه في كثير من الأحيان مغلق فعليا لكن مفتوح فكريا مثل السجن والأحداث التي جرت فيه مع شخصياته وهذا جعل نوال سعداوي تطير بخيالها إلى كل الجهات دون رقابة.

سجلّ تاريخ الرواية العربية عدد من الكاتبات المبدعات، لهن وجود شامخ وحضور قوي ومتمرد، منهن نوال السعداوي التي أحدثت نقلة نوعية على مستوى المضمون والشكل خاصة عند نقل تجربتها الشخصية وفق آليات فنية تميل إلى الجنس الروائي وخاضعة للذاتية.

7. اللغة في الرواية:

أول ما يمكن ملاحظته في هذه الرواية شكلها الخارجي، فالكاتبة اعتمدت على نظام الفقرات، حيث راوحت بين فقرات طويلة وأخرى قصيرة والبطلة على طول الرواية تعاني القلق وعد الثبات وأفكارها مبعثرة، وتلجأ لنظام الفقرات الطويلة عند حديثها عن السياسة والحكم المستبد، فتقول "وإذا هي لم تعمل أي ذنب لماذا يمسكها البوليس هي بالذات من دون خلق الله...لكن فيه ناس تدخل السجن وهي مظلومة وياما في السجن مظاليم، الناس الغلابة يدخلون السجن لأنهم غلابة"[xxviii] وتعتمد الفقرات الصغيرة عند حديثها عن الواقع وما يجري من أحداث في الحياة اليومية، خاصة ما تعانيه المرأة من اضطهاد وانتهاك يمس شرفها فتقول "ومن أجل الحرية يجد الفنان نفسه في حلبة السياسة من أجل الحرية لا يمكن فصل الفن عن السياسة والحرية هي الثورة، حرية جميع أفراد المجتمع"[xxix]، إذًا نظام الفقرات في كتابة الرواية عبّر بصورة كبيرة عمّا تحسه الروائية من ’حساس بالضياع، فنفسيتها لم تكن في حالة استقرار وطمأنينة حتى تكتب روايتها بشكل عادي، وعدم التوازن والأمن في نفسيتها

بعد أن دخلت السجن انعكس في كتابتها لمذكراتها، إضافة إلى أنّ في السجن كانت تجمع أفكارها وتدونها في الذاكرة لعدم وجود ورقة وقلم، وتجربتها في السجن جعلتها لا تثق بأي شيء.

كما يُلاحظ أيضا لغة الرواية، لغة فصيحة، سهلة وبسيطة، بعيدة عن التكلف والتعقيد والغموض وبالتالي لغة مقروءة بعيدة عن الشاعرية، فنوال السعداوي أثناء حديثها عن تجربة شخصية واقعية عاشتها بكل تفاصيلها نابعة من أعماق نفس صادقة متألمة، اعتمدت في تعبيرها على لغة سهلة بسيطة لأنها تهدف إلى أيصال رسالة للمجتمع لا التباهي والتفاخر بلغتها الشعرية.

وفي موضع آخر نجد الكثير من الحوار دار بين البطلة وشخوصها وبين الشخوص أنفسهم، كما أنها اهتمت بوجهات نظر شخوصها وجعلتهم يبدون آرائهم ولم تقمع أفكارهم ولم تمارس عليهم أي سلطة فتنوعت حواراتهم بين الدين والسياسة والقانون...بعد أن كانوا متخوفين من الكلام وممنوعين منه، وبالتالي لغة البطلة في الحوار اكتست بطابع الجرأة والثورة، فالحوار بالنسبة لها مجال للتنفيس عن مكنوناتها وإبداء رأيها والتحدث معهم بكل جرأة وتمرد على ما تواجهه من أحداث.

أما بخصوص السرد، فالأحداث وردت متسلسلة، مرتبة، بدءا من لحظة إلقاء القبض عليها حتى خروجها من السجن وموت السادات، فهي مزجت بين السرد والوصف معتمدة في ذلك على الاسترجاع واستحضار الحدث والتوسع في وصفه والتعمق فيه بكل تفاصيله الدقيقة وجزئياته الصغيرة بغية إعطاء صورة حية عمّا تعيشه من معاناة في السجن وتقريب الصورة إلى ذهن المتلقي فتقول "في اليوم الأول لم آكل منه شيئا، فتحت الرغيف فرأيت الدود الأبيض والسوس الأسود كرؤوس الدبابيس ملتصقا بلبابة الخبز...وعلى صحن الفول أيضا رأيت عدد لا نهائيا من تلك الكائنات الدقيقة السوداء والبيضاء طافية على السطح"[xxx]، اهتمت الكاتبة بالوصف ومنحته مساحة واسعة في الرواية لأنها تحاول إعطاء صورة كاملة بكل تفاصيلها عن الذات المتألمة التي عانت الكثير.

كما نجد الروائية كتبت بضمير المتكلم "أنا" كونها تتحدث عن الذات، الذات المتألمة، المظلومة

في ظل مأساة حقيقة واقعية عاشتها البطلة وتريد التصريح بها، فأحسنت توظيف فنيات الرواية، فاستعملت النقطة والفاصلة والترتيب، فهي أبدعت بلغتها حتى كونت أحداثها بطريقة فنية، عكست من خلالها جراح الذات وآمالها وأمانيها.

8. **الخاتمة:**

ومن هنا يمكن استخلاص أنّ نوال السعداوي سلطت في روايتها "مذكراتي في سجن النساء" الضوء على القضايا النسوية في السجن، المكان المغلق الذي تمارس فيه تجاوزات في حق العنصر الأنثوي جعلت من نفسها بطلة روايتها، متخذة بذلك شكل فني جديد يميل إلى الواقعية.

- جاء الزمن في الرواية متوترا مسجل في حلقات معلقة بين الماضي والحاضر، تتفاءل بالمستقبل في عجالة كأنه صورة مصغرة عن التاريخ العربي والمصري خاصة.
- كان المكان في الرواية متنوعا، لأن المكان الأساس "السجن" انفتح على أماكن أخرى متنوعة حاضرة وغائبة في نفس الوقت وكأنها تريد أن تقول أنّ السجن قد يعطّل حركة الجسد، ولكن لا يمكن أن يحبس فكر الإنسان.
- كانت اللغة الروائية مزيجا بين العامية المصرية والفصحى، وهذا ما زاد التركيبة الروائية تناقضا وتنافرا، وقد يكون بهدف جمالي فني أو مجرد تمرد من أجل التميز من قِبل الكاتبة.

وفي الأخير يمكن القول عموما أنّ الأدب النسوي، موضوع شائع يحمل في طياته نزعة إنسانية وقيم يستحق الاهتمام والمتابعة النقدية والنظر إليه بموضوعية وحصره في زاوية الوعي الفني.

9. **المراجع:**

---

[i]- أمل التميمي، السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط1، المغرب، 2005، ص47.

[ii]- نزيه أبو نضال، تمرد الأنثى، دار الفارس للنشر، ط1، عمان، 2003، ص94.

[iii]- ليلى محمد ناظم الجبالي، جمهرة النثر النسوي في العصر الإسلامي والأموي، مكتبة لبنان، ناشرون، ط1، لبنان، 2003، ص9.

[iv]- نزيه أبو نضال، تمرد الأنثى، مرجع سابق، ص10.

[v]- باديس فوغالي، دراسات في القصة والرواية، عالم الكتب الحديثة، ط1، الأردن، 2010، ص52.

[vi]- إدريس قصوري، أسلوبية الرواية لدراسة أسلوبية رواية زقاق المرضى، عالم الكتب الحديثة،ط1، الأردن، 2008، ص316.

[vii]- حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي الأدبي، ط3، 2000، ص50.

[viii]- عالية محمود صالح، البناء السردي في روايات الياس خوري، أزمنة للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، ص30.

[ix]- نوال السعداوي، مذكراتي في سجن النساء، الآداب للنشر، ط1، بيروت، 2000، ص12.

[x]- المرجع نفسه، ص76.

[xi]- المرجع نفسه، 154.

[xii]- مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، دار الفارس، ط1، الأردن، 2004، ص12.

[xiii]- المرجع نفسه، ص43.

[xiv]- نبيلة إبراهيم، قص الحداثة، مجلة فصول، المجلد السادس، العدد4، 1976، ص100.

[xv]- عالية محمود صالح، البناء السردي في روايات الياس خوري، مرجع سابق، ص17.

[xvi]- هيثم الحاج علي، الزمن النوعي وإشكاليات النوع السردي، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، لبنان، 2008، ص63.

[xvii]- نوال السعداوي، مذكراتي في سجن النساء، مرجع سابق، ص228.

[xviii]- المرجع نفسه، ص275.

[xix]- المرجع نفسه، ص238.

[xx]- المرجع نفسه، ص220.

[xxi]- المرجع نفسه، ص228.

[xxii]- المرجع نفسه، ص102.

[xxiii]- صالح ولعة، المكان ودلالته في رواية "مرن الملح"، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2001، ص40.

[xxiv]- المرجع نفسه، ص41.

[xxv]- إبراهيم عباس، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، ط1، ص33.

[xxvi]- صالح عالية محمود، البناء السردي في روايات الياس الخوري، مرجع سابق، ص75/73.

[xxvii]- صالح ولعة، المكان ودلالته في رواية "مرن الملح"، مرجع سابق، ص61.

[xxviii]- الغذامي عبد الله، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، ط2، لبنان، 1977، ص117.

[xxix]- المرجع نفسه، ص132.

[xxx]- المرجع نفسه، ص155.